فضل العشر الأوائل من ذي الحجة

تفرّدَ الله سبحانه وتعالى بالخلق والاختيار، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٨﴾ [القصص ٦٨]. ومن رحمته بالعباد أن فاضل بين الأوقات والأزمنة؛ فاختار منها أوقاتًا خصّها بمزيد الفضل وزيادة الأجر؛ ليكون ذلك أدعى لشحذ الهمم، وتجديد العزائم، والمسابقة في الخيرات والتعرض للنفحات، ومن هذه الأزمنة الفاضلة: أيام عشر ذي الحجة التي اختصت بعدد من الفضائل والخصائص. فقد أقسم الله بها في كتابه؛ تنويهًا بشرفها وعظم شأنها فقال سبحانه:﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر:١ - ٣]. قال عدد من أهل العلم: إنها عشر ذي الحجة.

وشهد النبي ﷺ بأنها أعظم أيام الدنيا، وأن العمل الصالح فيها أفضل منه في غيرها، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ -يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ-، قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ». (١) رواه البخاري، والترمذي، وابن ماجة.

ومن فضائل هذه الأيام: يوم عرفة؛ الذي قال فيه ﷺ كما في حديث عائشة -رضي الله عنها-: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟» (٢) وفيها أيضًا: يوم النحر؛ الذي هو أعظم الأيام عند الله، قال ﷺ: «أعظم الأيام عند الله تعالى، يوم النحر، ثم يوم القر». (٣).

(١) رواه البخاري، والترمذي، وابن ماجة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

ويوم القر: هو اليوم الذي يلي يوم النحر، أي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة؛ لأن الناس يستقرون فيه بمنى بعد أن فرغوا من طواف الإفاضة والنحر واستراحوا. وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، أيهما أفضل؟ فأجاب: «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة». وقد ذكر المحققون من أهل العلم: أن أيام عشر ذي الحجة أفضل الأيام، وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل الليالي.

ما يُستحبُّ من الأعمال في العشر من ذي الحجة

١- التوبة النصوح والرجوع إلى الله: والتزام طاعته والبعد عن كل ما يخالف أمره ونهيه بشروط التوبة المعروفة عند أهل العلم، فقد أمر الله بها عباده المؤمنين فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور:٣١]. ولا غناء للمؤمن عنها في جميع الأوقات والأزمان.

٢- الصيام: فيُسنُّ للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة؛ لأن النبي ﷺ حثَّ على العمل الصالح في أيام العشر، والصيام من أفضل الأعمال. وقد اصطفاه الله تعالى لنفسه كما في الحديث القدسي: «قال الله: كل عمل بني آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به.» (٤)

٣- الإكثار من التحميد والتهليل والتكبير: فيُسنُّ التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح أيام العشر. والجهر بذلك في المساجد والمنازل والطرقات وكل موضع يجوز فيه ذكر الله؛ إظهارًا للعبادة، وإعلانًا بتعظيم الله تعالى. ويجهر به الرجال وتخفيه المرأة. وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا

(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٥).

فيهن من التهليل والتكبير والتحميد». (٥)

وصِفةُ التكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد، وهناك صفات أخرى. ويسن إظهار التكبير المطلق من أول يوم من أيام ذي الحجة في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، يجهر به الرجال، وتسر به النساء؛ إعلانًا لتعظيم الله تعالى، ويستمر إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق، وأما التكبير الخاص المقيد بأدبار الصلوات المفروضة، فيبدأ من فجر يوم عرفة، ويستمر حتى عصر آخر يوم من أيام التشريق لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، ولقوله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب، وذكر لله». (٦)

٤- أداء الحج والعمرة: إن من أفضل ما يعمل في هذه العشر: حج بيت الله الحرام، فمن وفقه الله تعالى لحج بيته وقام بأداء نسكه على الوجه المطلوب فله نصيب -إن شاء الله- من قول رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

٥- الأضحية: ومن الأعمال الصالحة في هذا العشر: التقرب إلى الله تعالى بذبح الأضاحي، واستسمانها واستحسانها، وبذل المال في سبيل الله تعالى.

٦- الذكر: يُشرع في هذه العشر: الإكثار من ذكر الله تعالى بالتكبير، والتحميد، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وقراءة القرآن، ونحو ذلك. ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٨]. **والأيام المعلومات:** هي العشر من ذي الحجة عند جمهور العلماء. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ما من أيَّامٍ أعظمُ عندَ اللهِ ولا أحبُّ إليهِ العملُ فيهنَّ من هذِه الأيَّامِ العشرِ؛ فأكثروا فيهنَّ منَ التَّهليلِ والتَّحميدِ والتسبيح والتَّكبيرِ». (٧) **وإن**

(٥) أخرجه أحمد (٢٢٤/٧) وصحّح إسناده أحمد شاكر.

(٦) رواه مسلم.

(٧) (التقييد والإيضاح).

من أفضل الذكر: قراءة القرآن، فمن قرأ حرفًا منه؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. ويحسن بالمسلم أن يرتب له ختمة أو أكثر في هذه العشر المباركة.

٧- الصلاة: خير ما تُعْمَرُ به الأوقات الفاضلة: الصلاة، فصُفُّوا أقدامكم، وأطيلوا صلاتكم خاشعين منيبين، فهي قرة العيون، وروضة تتقلب فيها بين نعيم القلب، ولذة الروح؛ تلاوة وذكر، ودعاءٌ، ومناجاة، وقيام وقعود، ركوع وسجود، خضوع، وخشوع. **وأول ما يندرج في الصلاة:** الفرائض الخمس، ثم الرواتب، والضحى، وقيام الليل، والنفل المطلق.

٨- الصدقة: قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «ما تَصَدَّقَ أَحَدٌ بصَدَقَةٍ مِن طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إلَّا الطَّيِّبَ، إلَّا أخَذَهَا الرَّحْمَنُ بيَمِينِهِ وإنْ كانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو في كَفِّ الرَّحْمَنِ حتَّى تَكُونَ أعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ كما يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أوْ فَصِيلَهُ.». (٨)

فضل يوم عرفة

يوم عرفة من أيام الله تعالى، شرّفه الله وفضّله بفضائل كثيرة، نذكر منها:

١- أنه أفضل الأيام: فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ - حَدِيثِ الْمُبَاهَاةِ -: {إِنَّهُ يَدْنُو عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَيُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟}. (٩)

٢- أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار: عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه

(٨) (صحيح مسلم).

(٩) مجموع الفتاوى ٣٧٤/٥ — ابن تيمية (ت ٧٢٨).

ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟». قال ابن عبد البر: وهو يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب، إلا بعد التوبة والغفران.

٣- أن صيامه يكفِّر سنتين: قال النبي ﷺ: «صيام يوم عرفه أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده». (١٠)

٤- أنه يوم عيد: فعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «يومُ عرفةَ ويومُ النحرِ وأيامُ التشريقِ عيدنا أهلَ الإسلامِ ، وهيّ أيامُ أكلٍ وشربٍ]». (١١)

٥- أن موقف عرفة من المواقف التي ينبغي للمسلم أن يعتني بالدعاء فيها: فيدعو بجد وإخلاص، ويدعو بالمأثور عن النبي ﷺ وبغيره، فقد ورد عن النبي ﷺ أن أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وفي الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له». وروى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (١٢) فبادِر أخي المسلم إلى اغتنام الساعات، والمحافظة على الأوقات؛ فإنه ليس لما بقي من عمرك ثمن، وتب إلى الله من تضييع الأوقات، واعلم أن الحرص على العمل الصالح في هذه الأيام المباركة هو في الحقيقة مسارعة إلى الخير ودليل على التقوى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]. وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج:٣٧]

(١٠) رواه مسلم.

(١١) سنن الترمذي.

(١٢) حسّنه الألباني.